بـحـث

تاريخ قبيلة بني بويلول، بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، من خلال وثائقها

نبيل لحسن
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان

RESUME

L'histoire de la tribu des BENI BOU ILLOUL (MOYEN ATLAS SEPTENTRIONAL) à travers son archive

Un essai sur l'analyse documentaire de l'archive d'une tribu du Moyen Atlas Oriental (Beni Bou Illoul) au piémont Nord du sommet de Bounacer. Nous l'entamons par l'analyse d'un acte de vente de terres d'un Sadni à un Bou Illouli datant de l'année 1751 J. C, documenté de notaires locaux.

Vue d'une approche systémique, ce travail est le complément d'autres travaux réalisés ou en cours. Il inaugure une suite d'analyses de documents déjà collectés ou en cours. Ces tribus présentent un intérêt particulier vue leur situation marginale (mines de traditions fossiles), milieux fragiles sujets à exode alarmante, sans négliger l'aspect méthodologique. Une bonne illustration mettra en relief les aspects étudiés.

Mots clés : Tribu du Moyen-Atlas, archive local, patrimoine, historique

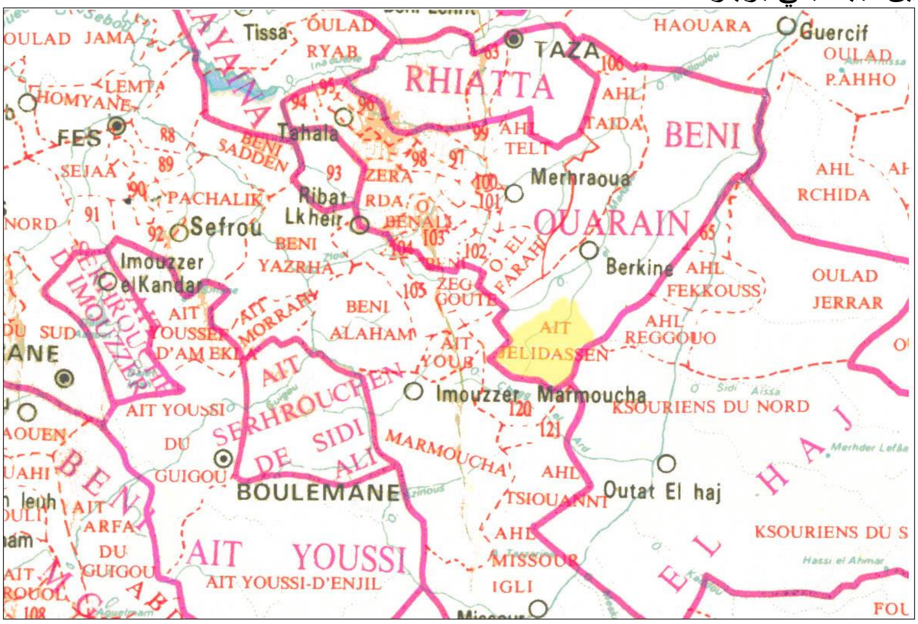
مقدمة

اختيار الموضوع وتوطينه

نريد تسليط الضوء على تاريخ قبيلة بني بويلول انطلاقا من وثيقة عدلية عقارية. ويدخل اختيار هذا الموضوع في سلسلة اهتماماتنا بالقبيلة التي ننتمي إليها، والتي سبق أن أنجزنا حولها رسالة جامعية في إطار بيوجغرافي نسقي (نبيل لحسن 1985). وقد سبق أن جمعنا وثائق لإدماج العنصر التاريخي في الدراسة لكن الظروف لم تسمح، وقد ضاعت منا الوثائق مع رحيلنا عن فرنسا. وفي سنة 2004-2005 وجهنا وأطرنا بحثا لنيل الإجازة حول سوسيواقتصادية ونزوح سكان القبيلة في إطار تنسيق جمعية بني بويلول للتنمية والبيئة التي أسسناها سنة 2002.

إن موضوعنا يتناول تاريخ قبيلة من قبائل آيت جليداسن المنتمية إلى فدرالية قبائل آيت وراين (الشكل 1). ولعل بعض قبائلها أتت من صحراء وران الموجودة على الحدود الموريتانية السنغالية كما يرى البكري وابن خلدون وليون الإفريقي (إديل ع. 1982).

الشكل 1 توطين قبيلة بني بويلول



المصدر: مقتطف من خريطة القبائل المغربية المصلحة الخرائطية الرباط (طبعة تجريبية DCFTT نبيل ل. بتصرف)

المنهجية

بهذه المساهمة المتواضعة نهدف إلى وضع اللبنة الأولى في الدراسة والتعريف بتاريخ وتراث هذه الربوع النائية والمهمشة من وطننا العزيز. ونحن بصدد جمع الوثائق المكتوبة وتسجيل الروايات الشفوية. وسنحاول إن شاء الله دراستها على شكل حلقات ريثما يتم جمع ما يكفي لانجاز تركيبة شمولية وافية حول تاريخ القبيلة (أصولها، تطورها، لغتها، رجالاتها، مقاومتها للاستعمار، فنونها، الخ.)

تكمن الإشكالية العامة في الخلل في دراسة التاريخ المحلي بالمقياس المناسب انطلاقا من المصادر المحلية أولا. إذ نلاحظ غياب الدراسات التاريخية للقبائل وانطلاقا من مصادرها، وهذه المصادر مهددة بالضياع مع غياب وسائل التوثيق الحديثة للمحافظة عليها. وعلينا تدارك الموقف قبل فوات الأوان.

سنتناول الموضوع في مرحلتين :

في الأولى، بعد توطين الوثيقة أو مجموعة من الوثائق، سنكتفي بدراستها وتصنيف أحداثها في علاقتها بالواقع لاستخلاص النتائج الأولية محاولين ربطها بالروايات الشفوية بقدر الإمكان.

وفي الثانية سنحاول انجاز دراسة تركيبية ومقارنة مختلف الوثائق المتوفرة فيما بينها ومع الروايات الشفوية لاستنتاج النتائج النهائية.

إن الإلمام بالموضوع يفرض علينا الاطلاع على مراحل تطور التوثيق بالمغرب قصد توطين ما يرد في الوثائق التي سنعالجها وسيتم هذا تدريجيا حسب الحاجة.

أصول التوثيق العدلي

التوثيق العدلي من أهم المصادر الكتابية والغير المباشرة لكتابة تاريخ الشعوب. فهي وثيقة لها صبغة قانونية معترف بها، وهي أصدق حديثا من كثير من الشواهد التاريخية المباشرة، إذ هي شاهد للأحداث غير مباشر ونادرا ما يطالها التزوير، وخاصة وأننا نشهدها على أحداث لم يدر في خلد كاتبها يوما أنها ستطلب منها. فهي وثيقة شرعية يحررها متخصصون وتقر العرف لدى الساكنة وتحفظ الحقوق لأصحابها ويعترف بها كمصدر من مصادر التوثيق، وكمصدر للقوانين الوضعية والدينية، ومواضيعها تخص مدونة الأحوال الشخصية والمواريث والعقود والمعاهدات وفك النزاعات وغير ذلك، ولهذا التنوع

أهميته وأبعاده. وخصوصيتها هنا تكمن في التهميش والعزلة وما نتج عنها من غياب كلي للدراسات لهذه القبائل النائية وأرشيفها المهدد بالضياع إذا لم يتدارك بالدراسات.

إن هذا التوثيق يستمد الشرعية من أصوله الدينية، وقد حافظ على مكانته حتى مع وجود التحفيظ العصري الذي أدخله الاستعمار، وذلك لوعي المغربي بأهداف المعمر من استحداث هذه القوانين والتي احدث ازدواجية في التعامل : العقار المحفظ عصريا يتقاضى أمام المحاكم العصرية والعقار الغير المحفظ (عقود عدلية) يتقاضى أمام المحاكم الشرعية.

وأكثر من ذلك فقد تم تجديد هذا التوثيق العدلي بإحداث جهازه بمقتضى ظهير 7 يوليوز 1914 إلى جانب الموثقين العصريين. ورغم توحيد القضاء بمقتضى ظهير 4 مايو 1965، فقد ظلت الازدواجية ما بين التوثيقين سارية المفعول (الطاهر المصمودي 1985).

وإذا كان التوثيق بالتحفيظ العقاري أكثر دقة وأحفظ لحقوق الشخص، فإن تعميمه على الأوساط القروية، وخاصة الجبلية، شبه مستحيل ما لم تتم إعادة النظر في مسطرة انجازه. وعلى أي فإنه يصعب العمل بوثائق عدلية قديمة ما لم يتم تحيينها من وقت لآخر. وقد انتبهنا إلى هذا ونصحنا به في استعمال العقود القديمة، كما وجدنا نصا يفتي بهذا أيضا خلف الوثيقة التي نحن بصدد دراستها (الشكل 3 أسفله).

1. الإطار التاريخي العام

1.1. ضرورة دراسة تاريخ القبائل من مصادرها

إن تاريخ القبائل المغربية تراث إنساني لا يمكن تناسيه، فهو في وضعه الحالي عبارة عن موضوع تتناوله المصادر التاريخية بعمومية وسطحية لا تشفي غليل الباحث وخاصة على مستوى المقياس الكبير (قبائل صغيرة، ودواوير...). ويمكن إلى حد ما اعتبار هذا المستوى من الدراسة التاريخية حلقة مفقودة علينا أن نتداركها قبل فوات الأوان. ومما زاد الطين بلة تعميم مفاهيم مثل : فترة "السيبا" والتي أصبحت تعني ليس فقط غياب نظام الدولة، وإنما أيضا التسيب الكلي وغياب التنظيم حتى على باقي المستويات.

كما أن مفهومي الانتجاع والترحال أصبحا يقرنان عند الكثير من الدارسين مع غياب تام للاستقرار وما ينتج عنه من العمران والبنيان القار والزراعة والملكية الفردية للعقار. ويكاد يكون هناك إجماع على أن المناطق القروية وخاصة النائية منها والمنحبسة بجبال الأطلس، قبائل بربرية، تعيش في أمية وجهل تامين، وأنها تجهل ليس فقط اللغة العربية وإنما أيضا الدين الإسلامي الحنيف، ويصبح السائد آنذاك مجرد أعراف قبلية بعيدة كل البعد عن الدين.

والمتمحص لتاريخ القبائل الأطلسية، رغم أصولها البربرية، يجد أنها أكثر تشبثا وتشبعا بالعقيدة الإسلامية. وقد أثبتت الدراسات والواقع المعاش أن من هذه القبائل من كانت لها أعراف مكتوبة اعتبرت من أقدم الدساتير في العالم (أزرف عند آيت عطا، جنوب الأطلس الكبير). ولا زالت بعض هذه القبائل تعيش على أنغام هذا النظام القبلي العريق بأبعاده الدينية، والاجتماعية، والثقافية والقانونية كما حكى لنا شهود عيان (الصديق علي رواية شفوية، وقد عمل كمعلم بالمنطقة المذكورة). فالواقع والوثائق تفند الأفكار المسبقة والرؤى السائدة والتي روج لها المعمر الذي أراد أن ينفي عن هذه الربوع مفهوم التقدم والتحضر، والتنظيم لينسبها إلى نفسه، وفي كل هذا تزوير لتاريخ الشعوب. ونجد بدورنا ما يفند هذه الآراء في قبيلة بني بويلول موضوع الدراسة.

وقد آن لنا أن نبدأ كتابة تاريخ هذه القبائل انطلاقا من مصادرها. فإلى جانب الروايات الشفوية هناك بقايا من الوثائق التي لم تعبث بها الأحداث الصعبة التي عاشتها من تدمير وسلب من طرف المعمر، بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى التآكل الذي تمارسه الديدان في غياب وسائل مناسبة للحفظ، وهذا رغم إبداع الناس في استعمال أجزاء من قصب مختومة بشمع لحفظ الوثائق المكتوبة.

1.2. إطار القبيلة والإشكالية

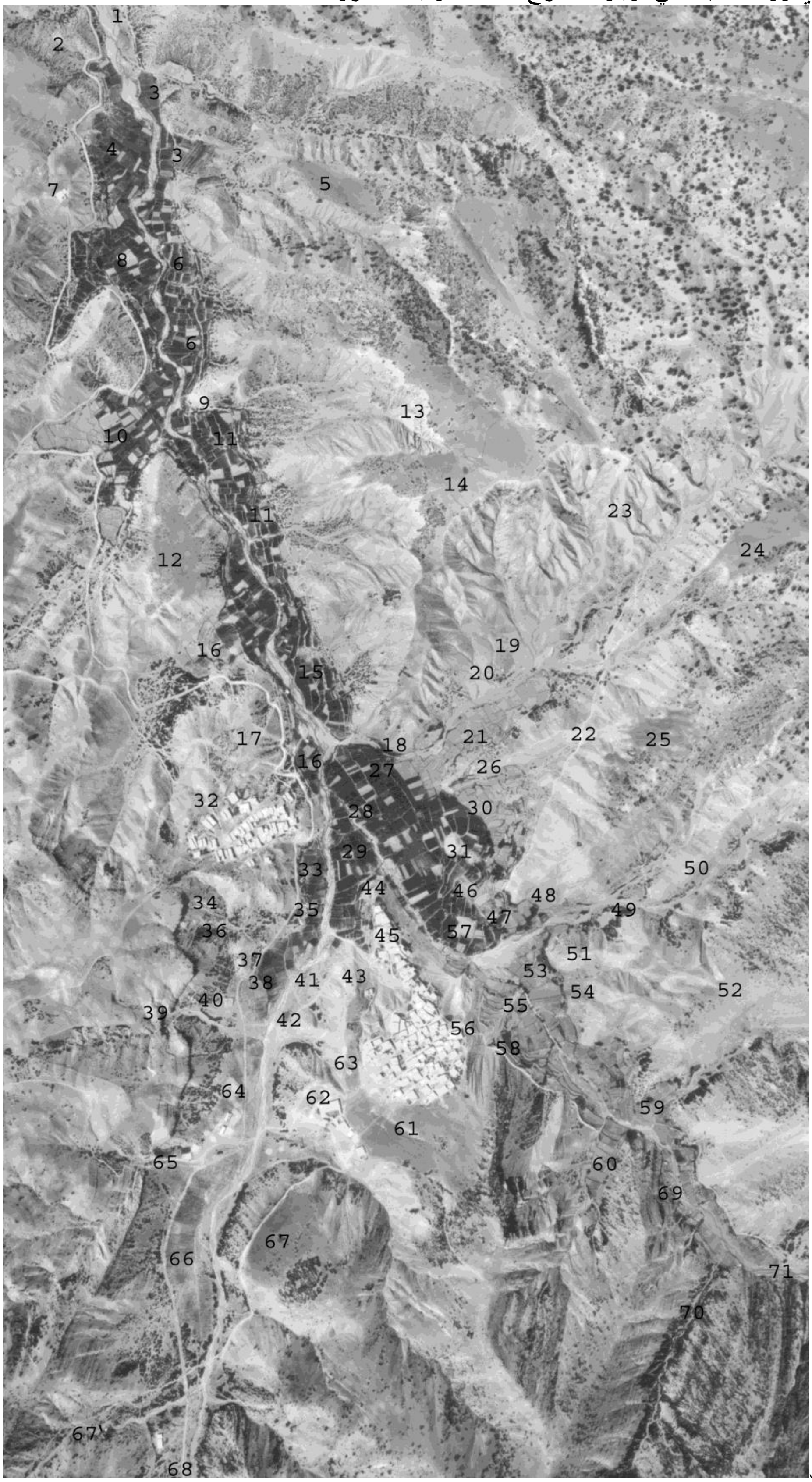
لعل معظم قبائل آيت جليداسن قد استقرت بحوض عالية نهر ملو منذ قرون عديدة حتى أن الذاكرة الشعبية نسيت أصولها كما عند قبائل : آيت عبد الله وآيت مقبل وآيت بونصر وآيت تيمزراي. ويختلف الحال بالنسبة لقبائل استقرت حديثا (قبائل زوايا) كقبيلتي آيت بويلول وزاوية سيدي بلقاسم مثلا (استمارات نبيل ل. في الدواوير المعنية 1982).

وتؤكد الرواية أن الزاوية التيجانية أتت الى بني بويلول عن طريق العالم سيدي الحسن (المنتمي لفخذة آيت محمد أو رحو) (صدوق علي، رواية شفوية 1982) وهذا يؤكد على أنها لم تكن بسبب نزوح مرتبط بالصراع الذي قام بين المولى اسماعيل والزوايا. ثم مرت في حوزة آيت محمد أو لحسين وانتقلت إلى السيد محمد أو علي أو عبد الخالق وبعده إلى آيت امحمد أو عمر أو حدو (العياشي محمد، رواية شفوية 2007). ولعل مدينة فاس كانت المصدر الأساسي للثقافة البويلولية والمغربية بشكل عام، حيث درس أمثال الحسن في فترة السيبا (والمشار إليه أعلاه)، الحاج محمد أو عمرو أو علي في فترة الاستعمار (هاجر عندما رفض له الشيخ الحاج أحمد الإقامة، في فترة الاستعمار)، الطالب أحمد أو امحمد (آيت امحمد أو رحو) وكلهم درسوا بالقرويين (العياشي محمد، رواية شفوية 2007).

ويتضح تنوع الأصول، حتى بالنسبة للقبيلة الواحدة، من اختلاف الروايات الشفوية وتنوع العلاقات النسبية، الشيء الذي تثبته الوثائق المتوفرة. وقد اتفقت الروايات الشفوية ببني بويلول على تنوع أصول بطونها. ولعل الوثيقة التي نحن بصدد دراستها تساهم في فهم هذه الدينامية التاريخية المعقدة. فهي تثبت انسحاب آيت سادن من هذا الموطن، وتنص على توسع بطن من بطون القبيلة المسماة آيت بوزيان أوحدو على الأراضي المقتناة. وحسب الرواية الشفوية فإن جد هذه الفخذة والمسمى سيدي أحمد أو بويعقوب (والذي تعده القبيلة وليا صالحا بنت عليه ضريحا، وهو مدفون بين ساسول وأسرغين (قد أتى عن طريق ملوية عبر حيون وتسيوانت. وتؤكد هذه الرواية القرابة التي لا زالت ولحد الآن تربط أفراد هذه الفخذة بأقرباء لهم هناك، ومنهم المسمى محمد أزوهري بحيون (الحاج محمد أو رحو، رواية شفوية 1982) ولفخذة آيت أو مزيان وتدعى حاليا آيت بن زرياح أقرباء بأولاد علي قادم لا زالوا يحملون نفس الاسم (نبيل علي 1982).

هذا وهناك عقد بيع آخر يتحدث عن الأولاد الثلاثة ل عمرو أو حساين (والذي تعده القبيلة وليا صالحا بنت عليه ضريحا وهو مدفون بايحزليفن علي أو عيسى (جد الفخذة الأخرى : آيت بوزيان أو او عمرو في نفس التاريخ، وننتظر الحصول على نسخة منها لتدارسها. وتشير وثيقة (شجرة الشرف) أخرى إلى المسار التي سلكه أبوه مولاي عبد الكريم عبر الجزائر قبل وصوله إلى ملوية حيث يقيم فرع من ذريته والمسمون آيت يلول. وتشهد رسالة التوقير التي بعثها إليهم السلطان سنة 1826م بأصلهم كشرفاء. هذا الأخير نفسه كان يعرف أقرباء لفخذته بتلك القبيلة (الحاج محمد أو علي أو امحمد أو لحوسين، رواية شفوية 1982 والوثيقة في حوزته). وهناك روايات شفوية أخرى تروي أنه أتى مع الفضيل أو بورمضان من تامصلوحت قرب مدينة مراكش حيث ترك أخاه عبد الله بن حساين (استمارات نبيل ل. 1982).

الشكل 2 دواري وولجة قبيلة بني بويلول مسرح أحداث الوثيقة المدروسة



المصدر : توطين نبيل مستعينا باستمارة مع السكان صيف 2007 فوق صورة جوية للجرد الغابوي المياه والغابات يونيو 1977 -1/20000 (Atlas Aviation)

الجدول1 مفتاح الشكل 2 **(الأعلام التي لها علاقة مباشرة بالوثيقة المدروسة كتبت بخط سميك)**

1 - بومرعاز
2 - لمرج ن آيت الحاج قدور
3 - جعفر
4 - تجلجلين
5 - تاسشت ن قدور
6 - ايحزليفن ن تجلجلين
7 - دار آيت عمرو أو لحسن
8 - تيغدوين ن ييري
9 - توزالت (الدردارة)
10 - فود إيسراويل
11 - تيغردين
12 - تاسشت ن الحاج علي
13 - تملاحت
14 - أحروق إيسمغان
15 - تيزيزاوين
16 - بوليد
16'- إيفتسان، العين وادا
17 - تاسشت
18 - أغرم أقديم
19 - تيسمان
20 - ضريح سيدي لفضيل بن بورمضان والمقبرة
21 - تيغناشين
22 - أجرط إيحزليفن
23 - إيموزاز
24 - أفران ن تغناشين
25 - تغروت إيحزليفن
26 - ضريح سيدي عمرو أو حساين
27 - الجهاد، دادا علي، المراجع، موسى أو حمد، القاسم، **إيجر أو مقبل**
28 - إيرزان، **أغزر ن تيسارت**، العين برزان
29 - أجرسيف، العين و افلا
30 - إيحزليفن ن علي أو عيسى
31 - توريرت ن علي أو عيسى
32 - أغرم ن تاسشت
33 - تغروت
34 - تاجوست (تيجوت) (تستعمل كساعة شمسية)
35 - أسشلو، تلعينت أو سشلو، ضريح للا الصالحة
36 - أغزر ن تنوالين
37 - تيشوت إيمجراح
38 - تيغدوين ن آيت حدو
39 - أستر
40 - تدارت ن آيت عبد الصادق
41 - تلعينت ن مبارش
42 - لمجاهلت
43 - أمزاز (أغزر إيلغمان، **تدارت ن الحارك)**
44 - فود أو غرم (أساس مسجد قديم)، تغدة ن وعلي، تيهموزين
45 - آيت ولاغ (النواة الأولى لدواري بني بويلول)
46 - إيشرشورن
47 - تيبحار ن تاقة
48 - تودرين ن آيت موسى
49 - أغزر ن تسرفين
50 - فود أزداد
51 - توريرت ن بوزلوم
52 - فود ن تلاخت
53 - أيت عيسى، **خلوف**
54 - إيدبدوبن
55 - تقونصت
56 - تفوت تزكاخت، تيمشيرشين
57 - أرشاس نو اعراب
58 - امحمد أو لحسن
59 - تيمشماشين، أغزر ن تمشماشين
60 - مجريرس، أغزر ن مجريرس
61 - عمروس أمقران
62 - أجرور ن عمروس
63 - ضريح سيدي امحمد أو عمر أو حدو والمقبرة
64 - فرشوط، أغزر ن فرشوط، المدرسة
65 - تيط يحياطن
66 - تغدة ن تاسة
67 - عمروس أمزيان
67 - أغزر إيمسدن
68 - إيمي أو جلجال (دار حارس المياه والغابات)
69 - حمو أيوب
70 - أغزر ن آيت أو مزيان
71 - العين أو جمير

وقد كان أفراد من القبيلة المجاورة تدعى أولاد علي قادم يمتلكون ولجة ساسول وباعوها -إثر حركة بهلولي على المنطقة- لإفراد من القبيلة كانوا في حراسة التخوم من هجمات محتملة (العياشي محمد، رواية شفوية 2007). ولعلنا سنحصل على نسخة من وثيقة البيع هذه. والأماكنية تشير إلى حقل بالولجة يسمى "تغدة ن وعلي" (أي حقل من ملكية شخص من قبيلة أولاد علي قادم بمحاذاة وادي "تايسرت" بمستوى "تغدة أو مغار") فقد أكد لنا المالك أن أحد أفراد الفخذة قد فر بعد أن قتل شخصا وأرسل موكلا من أولاد علي ليبيع البلاد التي نسبت إليه (جعفر أحمد، وشكور علي روايتين شفويتين 2007). وهناك فدان ب "دادا علي" يسمى "إيجر أو مقبل" (أي فدان المقبلي) وهو مجرد إرث أحمد نتعلبوشت من أخواله آيت محمد الصديق والذين اشتروه منه (الصديق محمد، رواية شفوية 2007). وقد أحصينا مجموعة من الزيجات ما بين القبيلة والقبائل المجاورة (العياشي محمد، رواية شفوية 2007) وهي تؤكد على أن المفهوم التقليدي للسيبا غير دقيق.

وتجدر الإشارة إلى أن القبيلة كانت ذات أهمية كبرى حيث استهدفتها حملات تبشيرية كحركة البهلولي التي أشرنا إليها والتي تراجعت نتيجة نقص المئونة. وقضت عليها قبيلة إغزران بحرقه في منزل استضيف فيه (العياشي محمد رواية شفوية، 2007 عن السيد أحمد أو محمد العياشي شاهد عيان كان يدرس القرآن عند أخيه هناك). وأهم من هذا شخص يسمى الحارك أو رقاص أقام بالدوار أولا في خيمة، ثم بنيت له دار بأغزر إيلغمان مدعيا أن الماء لا ينال منه. ولا تزال بقايا أساس منزله هذا شاهدة للعيان تحت دار الطالب أحمد أو محمد أو عمر أو حدو (شاهدناها مع العياشي محمد 2007). قبل أن يبني الدار التي سكنها حتى مقتله وورثها جد آيت لحسن الصديق الذي كان فقيها لنسائه وبناته يحفظهن القرآن. وبنيت على أرض لآيت بن زرياح، وهي بجوار منزل طفولتي. وقد تزوج سبع نساء مخالفا بذلك شريعة الإسلام والتي أتى ليحرفها. وكن من مختلف بطون القبيلة (آيت بن زرياح و آيت بورمضان) ومن عائلة لاجئة بالدوار من آيت بونصر، ومن القبائل المجاورة (كآيت علاهم) وكن محجبات، ولعل السر في ذلك أنه خشي أن يعرف أنه غير مختن كما اكتشف قاتلوه. ومما كان يروج له أن الجمعة عبارة عن سوق يحضره من شاء، ووزع وردا على مريديه الذين يتعبدون معه في داره. وكان له فرس يتنقل عليه. وقد فتن كثيرا من الناس وخاصة مجموعة أنفقت كل بلادها عليه وعلى زوجاته بعد موته ومنهم السيد سعيد أو بنزرياح. وكان مريدوه ينتظرون بعثه كالمهدي المنتظر كما كان يدعي. وقد شكاه السيد ميمون أو عمر أو حدو إلى أحد كبار آيت وراين، وتم استدعاؤه ثم فصله قسرا عن رفاقه ورمي بالرصاص. ودفن تحت حافة ترابية أسقطت على جثته (العياشي محمد، رواية شفوية 2007 وتؤكدها روايات متعددة).

ولا زال هناك اسم يشير إلى دوار قديم "أغرم أقديم" لم يبق من آثاره سوى أساس اكتشف مردوما في فدان مجاور لوادي "تيغناشين". والسكان لا يذكرون وجود قبور وسط دورهم ، اكتشفت ب "إقرقرن" آيت ولاغ عند حفر أساس دار آيت محمد أو حمد أو عمر أحدو في بداية الستينات (ولا زلنا نذكر الحدث الذي شاهدناه ونحن أطفال)، وتعود أكيدا إلى فترة ما قبل آيت بويلول[1]. وفي تيدمامين "ايجر ايمتلان" يعني فدان المقبرة إشارة إلى أن القبور نخرت واستعملت الأرض بعدها للفلاحة، ولعلها لقبائل سابقة (استمارات نبيل ل. 1982).

وتذكر بعض الروايات أن "آيت ولاغ" (سافلة القصر الكبير) كانت نسبيا محصنة ضد هجومات القبائل المجارة وكان هناك درج مخفي من دار آيت محمد الصديق يسمح بطلب الماء من واد "تايسرت" والذي يبعد بحوالي 150م (الوافي علي أو بلقاسم، رواية شفوية 2006 أكدتها روايات أخرى 2007).

وكان توسع أغرم امزيان إلى تاسشت بالضفة الأخرى حوالي سنة 1300 هـ موافق 1882 م عندما رفض مالكو أرض عمروس بيعها لبناء السكن (حسب رواية الحاج احمد أو لحسن الهرد 1982 كان شيخ القبيلة خلال فترة الاستعمار، وقد تجاوز عمره 100 سنة). وقام حول هذه الأرض صراع أوقف استغلالها ولحد الساعة. وتوسع البناء على هامشها بأجرور خلال عقد الستينيات من القرن الماضي كما شهدنا ونحن أطفال. ولعله من المهم أن نشير هنا إلى الطريقة المحصنة التي بني بها دوار تاسشت حيث

[1] هناك إفادات لاحقة أثبتت أنها لأتباع الحارك من آيت روكو، وقد أشرنا إلى هذا اللحن في مقالة لاحقة.

يشكل الدور حلقة متراصة حول ساحة وسطى مخصصة لزريبات قطعان الماشية ولها بابين نحو العالية للمرعى ونحو السافلة للبحث عن الماء، كما أن جدرانه الخارجية مزدوجة، ولا زالت لحد الآن.

2. دراسة وتحليل وثيقة تاريخية : عقد بيع عقاري ببني بويلول يرجع لسنة 1751 م

2.1. نقط القوة في الوثيقة

إنها وثيقة عقد بيع عقاري بشهادة عدلين (الشكل 3) ويمكن تسجيل الملاحظات التالية :

- تفيد الوثيقة أن المشتري هو أحمد بن حدو البيلولي، أحد أفراد بطن من بطون القبيلة المسمى آيت بوزيان أو حدو. ولعل أب المشتري حدو هو الجد الذي تنتمي إليه الفخذة المذكورة. والعقار المباع هي عدة قطع أرضية من ولجة بني بويلول (أراضي مسقية بجوار دوار القبيلة). والملاحظ أن المشتري هذا ينتمي للقبيلة كما تؤكده النسبة في الاسم، ولكن العقد يشير أيضا إلى أن له أملاكا عقارية مجاورة للقطع المشتراة (في 3 مواضع) إذ غالبا ما يحاول الجيران اقتناء الأراضي المجاورة لتوسيع الملكية. وهذا يؤكد على أن المشتري مقيم لا قادم جديد، وتؤكد الوثيقة أنه بويلولي. ولعل في هذا التأكيد إشارة إلى وجود أجانب بالقبيلة ومنهم السادني (البائع).

وانطلاقا من الظروف المادية التي توفرها موارد المنطقة نتساءل كيف تمكن البويلولي من شراء كل الأراضي الواردة في العقد دفعة واحدة وبنقد ؟

- والبائع هنا ليس من القبيلة البويلولية. فهو سادني، وقبيلة آيت سادن موجودة غرب الأطلس المتوسط على مشارف فاس (الشكل 1). وكل الروايات الشفوية تؤكد نزوحها من هناك إلى مقرها الحالي مع اختلاف في الأسباب. والملاحظ أنه لم يذكر أي سادني آخر بجوار البائع، ومن هنا السؤال لماذا يبيع كل أراضيه دفعة واحدة في حين يعرف عن هؤلاء البدو تمسكهم المستميت بأراضيهم كوحدات إنتاج أساسية لنظامهم المعيشي ؟ وهل كان هذا آخر سادني سيرحل من القبيلة ؟ وهذا ما ورد في بعض الروايات الشفوية نقلا عن سادنيين. ثم لماذا تأخر هذا السادني عن فترة رحيل بقية قبيلته لو تم ذلك بصراع قبلي أو ما شابهه ؟ ولا تذكر الوثيقة أي سبب للبيع. فلو كان هناك جفاف أو خصام لما تم العقد بالصيغة الواردة في آخر النص. ولعل الرحيل تم تدريجيا واستغرق عدة عقود قبل رحيل كل أفراد القبيلة : الفترة التي سمحت باستيطان القبيلة الجديدة والتي حلت محلها. والمعنى التي يحمله لفظ "الشيخ" الذي لقب به البائع هو "شيخ الرمى" وهو تنظيم معروف عند القبيلة كما عند قبائل آيت وراين، وتوقف العمل به عند بني بويلول مع بداية الاستعمار، وأحد أجداد الراوي كان شيخا للرمى، وتسمى أسرته آيت الشيخ أحمد ويجاوره "آيت المقدم" مقدم للرمى (العياشي محمد، رواية شفوية 2007).

- العقد يشير إلى بعض أسماء تعرف بها حاليا فخذات بالقبيلة منها : بوزيان، بورمضان. وأحد العدول الممضين للوثيقة يحمل اسم "بن بوزيان" والآخر لم يحدد انتماؤه لفخذة معينة. ولعله من الجدير بالذكر أن العدلين ينتميان إلى القبيلة نفسها كما تشير إليه الإمضاءات. وليست هناك إشارة إلى مرجعية أخرى كقضاة أو إدارة. ومن هنا نستنتج أن طبيعة العدلية هنا تشبه تلك السائدة في المرحلة الأولى من تطور التوثيق الإسلامي لما قبل القرن الثالث الهجري، حيث يغيب التدوين، والعمل تحت قضاة والتعيين الرسمي للعدول (الحياني محمد 1986).

- تشير الوثيقة إلى السيد لفضيل أو بورمضان والذي تعده القبيلة وليا صالحا بنت عليه ضريحا وهو مدفون في أرض" بتغناشين" لفخذة آيت بورمضان والتي تدفن موتاها بجواره. الوثيقة تشير إلى فترة حياة هذا الولي الصالح، وهو في هذه الوثيقة يملك أرضا بالقبيلة. وهناك إشارة إلى جدين اسمهما "خلوف" و"عثمان" أعطيا أسماء لأماكن بأرض القبيلة : الأول بالولجة، والثاني بعزيب على طريق أولاد على "أزرو أو عثمان". وبالتوازي لا زالت الرواية الشفوية تشير إلى زنقة هناك بالدوار تحمل الانتماء ل "خلوف" والتي تذكرها الوثيقة، زنقة آيت محمد أو قدور حاليا وهناك مكان بإيمي ن تغشت يحمل نفس الاسم (ذ. جعفر أحمد، رواية شفوية 2007). وذكرت الوثيقة اسمي "بوزيان أو عمرو" و "بوزيان أو

حدو" وكلاهما فخذة بنفس القبيلة حاليا. وذكرت اسم "عمرو أو حدو" جد ل "آيت عمرو أو حدو" ولعله هو الذي أضفى اسم على موضع بالولجة "تزارت عمرو أو حدو" ("أو" بالأمازيغية تعني النسبة). ونستغرب من ذكر اسم "محمد البويلولي" لعمومية تسمية محمد، ونعته ب "البويلولي" بدون معنى داخل قبيلة يحمل كل أفرادها نفس الانتماء، ولا يمكن استساغته إلا من فقيه ألف استعمال هذا الانتماء خارج الدوار.

- الوثيقة تشير إلى الخصائص التي تميز قبيلة بني بويلول من بين القبائل المجاورة : الانتماء والتشبث بالدين (الوالي الصالح : لفضيل أو بورمضان) وجود فقهاء : "الطالب عمرو أو محمد" والمعروف أنه يطلق اسم "الطالب" على الذي يمارس المهنة بأحد المساجد أو دور تعليم القرآن لا على مجرد حافظ لكتاب الله، ثم وجود عدول هم الممضون للوثيقة.

- وقد يستغرب القارئ لوجود عدلين في نفس الفترة في دوار صغير في هذه المناطق. وإشهاد عدلين هو ما تأمر به الشريعة الإسلامية. وكونهم من الدوار يمكنهم من الإشهاد ليس فقط على ما يمليه المتعاقدان وإنما أيضا على صحة المعلومات الواردة في تصريحاتهما، وهناك إشارة إلى هذا في النص. ونسجل طريقة إمضاء العدلين التي يصعب تزويرها، وهي تحمل اسميهما وانتماءيهما القبلي.

- عند قراءة الوثيقة، ظننا أن هناك خطأ في تحديد فدان ب "فود أو غرم" بالمسجد، وأن المقصود هو أرض في ملك المسجد، لكن الروايات الشفوية أكدت لنا وجود مسجد قديم تحت أسفل دار من "أغرم أمقران". ولا زالت هناك بقايا من صور المسجد ملاصقة ب "تغد أو مغار" (نبيل ل، زيارة ميدانية للأثر 2007، واتفقت كل الروايات الشفوية حول هذا الموضوع 2007).

- وتشير الوثيقة إلى أن السكن بالقصر الكبير لآيت بويلول لم يتجاوز بعد في تلك الفترة المكان المسمى "تدارت تقديمت"، وهو علم معناه "دار قديمة" مقارنة مع انتشار بناء سكن آيت بويلول، "آيت وفلا" ولا تزال بقايا أساس هذه الدار شاهدة للعيان (عايناها برفقة العياشي محمد، 2007 وتؤكدها روايات شفوية متعددة). والإشارة إلى قدمها يدل على أنها أقدم من البناء البويلولي. وتشير أيضا إلى أن السادني كان يمتلك أكثر من دار، وتتواجد كلها في مؤخرة الدوار.

- الوثيقة تحمل تاريخ 1163 هـ (رجب 1) الموافق ل 1750 (وعمرها إذن 263 سنة هجرية و256 سنة ميلادية (العد بحدود 2006)، وتقديراتنا هنا تؤكدها حسابات برنامج تقويم رزنامة "Win-mor".

- ورغم قدم الفترة التاريخية نجد أن المعاملة تمت نقدا لا مقايضة كما قد نظن.

2.2. مواطن الضعف في الوثيقة

- ولعل من العيوب التوثيقية هنا غياب الوصف والتحديد الدقيق للحقول والدور المباعة سواء من حيث المساحة أو الشكل أو قياس الأضلاع وربما يشفع لهم كون القبيلة دأبت على دفن صخور على الحدود لضبطها تسمى : "الرسومات".

- المستوى اللغوي للوثيقة يبين على أن تكوين العدول متوسط وهذا من خلال اللحن في اللغة وإدراج تعابير من اللغة العامية وكثرة الإطناب مع الركاكة في كثير من الحالات. إلا أن كثير من العبارات مألوفة كصيغ تحرر بها الرسوم العدلية. وهي مأخوذة من كتب التوثيق العدلي المعروفة منذ أن ظهر التوثيق كما أكد لنا جعفر محمد (بصفته ترجمانا محلفا). ونقف هنا على بعضها :

2.2.1. اللحن الإملائي كما في العبارات التالية

وشهرت ذلك = وشهرة ذلك،

في موضع يقالوا له **فود اسراويل** = في موضع يقال له **فود اسراويين**. ونلاحظ أن العلم اسراويل حرف في النطق الحالي وكان يحمل وصفا دقيقا للشكل المسمى كما حددته الصورة الجوية (الشكل 2)،

في موضع المذكور = في الموضع المذكور.

2.2.2. إدراج مفاهيم عامية كما في العبارات التالية

يحده قبالة الواد = "قبالة" يظهر أنها تعني الكلمة الدارجة بمعنى "أمام"،
"جوفا" = تعني جنوبا (كما أكده لنا كل من ذ. الشريف محمد و ذ. جعفر محمد)،
ويصعب قراءة بعض الكلمات والتعابير (نتيجة الخط أو البتر)
هناك بتر نتيجة تآكل الوثيقة والتي الصق عليها ورق لتقويتها،
راجع الفراغات المشار إليها بين قوسين ( ) في النص أسفله.

خاتمة

الوثيقة أثبتت لنا وقائع لم تكن لنا عليها أية فكرة : فترة عيش لفضيل بورمضان، وشخصيات محلية تركت بصمتها على أعلام المنطقة. وقد أثارت انتباهنا إلى بقايا أثرية كمسجد فود أو غرم وأكدت أنه ما زال يعمل في تلك الفترة. وأرخت لأعلام جغرافية في المنطقة : كخلوف، أو عثمان. كما أثبتت عدم دقة الفرضيات التي قدمناها أعلاه والتي كانت سائدة. وقد أغفلنا مجموعة من المعطيات سنرجع لها عند دراسة وثائق أخرى.

وهكذا يتبين أن مثل هذه الوثائق الغير المباشرة واعدة ويمكن من خلالها تسليط الضوء على جوانب عدة من هذه الربوع من الوطن التي يطالها التهميش والعزلة ولم يشفع لها الدور الفعال الذي لعبته في صد المعمر واسترجاع كرامة الوطن.

ولنا موعد إن شاء الله مع مزيد من وثائق أرشيف القبيلة.

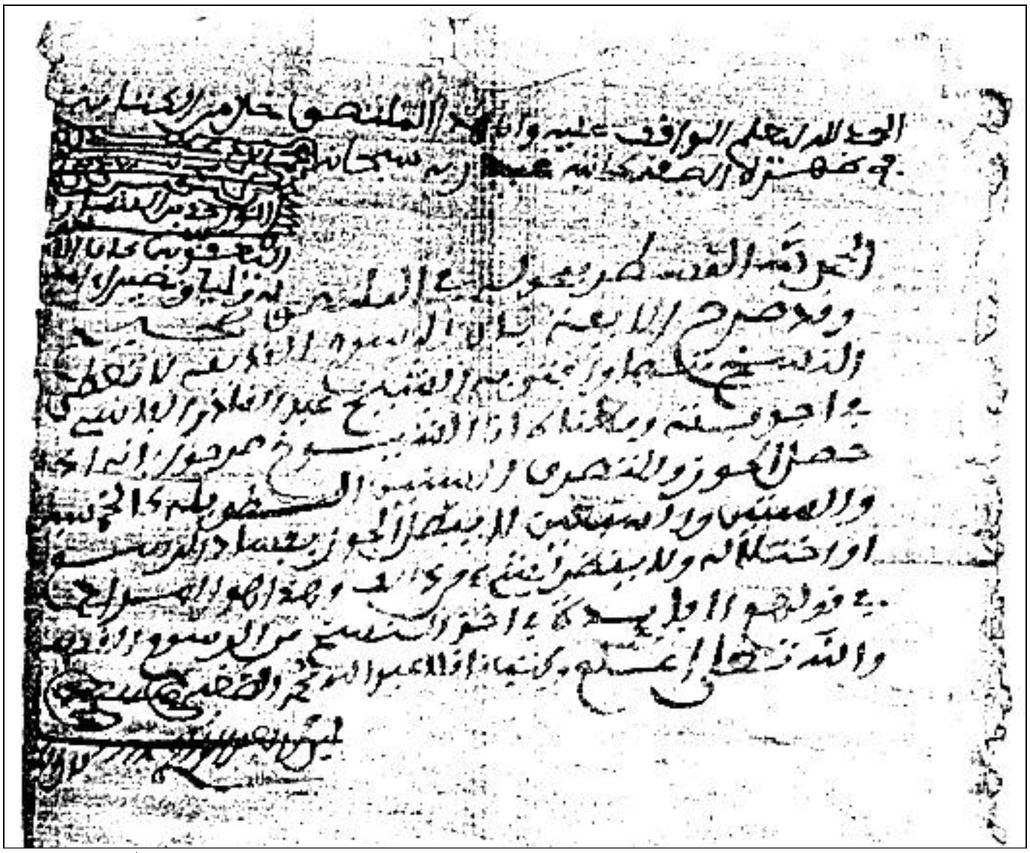
الملحق

الشكل 3 : نسخة من الوثيقة المدروسة : عقد بيع عقاري ببني بويلول يرجع لسنة 1751 م



المصدر: اقتناء ومعالجة نبيل لحسن، صاحب الوثيقة الحاج محمد اورحو بكيكو (تغمده الله برحمته)

الشكل 4 : نسخة من خلفية الوثيقة المدروسة، إشارة إلى فراغ قبل أن يلصق عليه ورق للتقوية ثم فتوى للسيد عبد القادر الفاسي بعدم جواز استغلال الوثيقة في غياب الحيازة أو التحيينات خلال فترة تتجاوز الخمسين سنة



المصدر: اقتناء ومعالجة نبيل لحسن، صاحب الوثيقة الحاج محمد اورحو بكيكو (تغمده الله برحمته)

محتوى نص الوثيقة (راجع النص الأصلي)

( ) بين قوسين كلمة غير مقروءة أو غير مفهومة أو مبتورة.

الحمد لله اشترى المكرم السيد احمد بن حدو البيلولي من البايع له الشيخ ميمون الحسن السادني (ثم) جميع البلاد الكائن له في مزارع بني بويلول من ذلك الفدان الذي يسمى ويعرف عندهم بلغة أهل البلاد فدان أولاد عبد (المولي) في موضع **اكرسيف** المحدود من القبلة الساقية وملك المشترى وجوفا ملك المشترى كذلك، وفدان آخر في موضع يسمى عندهم **فود نغرم** يحده قبالة الواد وجوفا ملك أولاد احمد الحسن، ومع شريطة في موضع المذكور أعلاه يحده قبالة المسجد وجوفا ملك الطالب عمرو امحمد، ومن ذلك شريطة في موضع **اجرسيف** يحده قبالة الساقية وجوفا ملك بزيان (احم حد) ، وشريطة أيضا في موضع المذكور يحده قبالة ملك المشتري وجوفا ملك (حم) عمرو ومع شريطة أيضا في **تغناشن** (اسم أعجمي) يحده قبالة شريط الهواري مع الكدية وجوفا الطريق. ومع شريطة أيضا في موضع المذكور أعلاه يحده قبالة ملك أولاد سيد بطيب وجوفا الهواري، ومن ذلك الربع في فدان يسمى عندهم بلغاتهم **تغردن** الخارجة عن لكبير بن احمد يحدها قبالة الساقية وجوفا الطريق الواد، ومن ذلك فدان في موضع يقالوا له **فود اسراويل** (اسم أعجمي) يسمى عندهم فدان حم اعلى بن عبد (المومن) يحده قبالة ملك لكبير بن احمد وجوفا ملك بزيان بن حد ( ) ومن ذلك فدان في موضع المذكور يحده قبالة لكبير المذكور وجوفا ملك المشتري، ومن ذلك فدان في موضع المذكور الخارج (من)عند محمد اخلوف يحده قبالة ملك المشتري وجوفا ( )، ومع شريط أيضا في موضع المذكور يحده قبالة ملك السيد محمد البيلولي وجوفا القفار، ومن ذلك شريطة في موضع المذكور يحده قبالة ملك السيد محمد البيلولي وجوفا ملك الجامع،

ومن ذلك شريطة في موضع المذكور يحده قبالة الساقية وجوفا ملك عبد العزيز، ومن ذلك ثلاثة مواضع في موضع يسمى عندهم بلغات أهل البلاد **تجلجلين** (اسم أعجمي) يحده قبالة الواد وجوفا الساقية وشرقا ملك عبد الله بن علا وغربا ملك السيد لفضيل بن بورمضان، ومن ذلك نصف الفدان المسمى عندهم بلغاتهم فدان **اعامر** (اسم أعجمي) يحده قبالة الطريق وجوفا الواد ومع الدار القائمة ببنيانها على رأس لقصر في موضع يسمى **عمروس** يحده قبالة ديار أولاد اخلوف وجوفا القفار وغربا ملك السيد عمر ابرمضان وشرقا الدار السيد امحمد اعثمان الخارجة عن البايع المذكور ومع الدار في موضع المذكور لسيد عمرو ابرمضان اشترى من البايع المذكور أعلاه المتصلة بدار السيد عمرو بن حدو من المغرب وشهرت ذلك تغني عن تحديده بجميع منافع ذلك ومرافقه وكافة حقوقه داخلا وخارجا اشتراء صحيحا تاما (مبتولا) لا شرط يفسره ولا (ثنيا) ولا خيار بثمن قدره ونهايته ستة وثلاثين مثقالا ونصف دراهم سكة تاريخية قبضه عن آخره (وابراء) منه من ذلك القبض (مبرر) وتملك ذلك تملكا صحيحا احل فيه محل بايعه (وذا) الملك الصحيح في ملكه. على السنة في ذالك والمرجع بالدرك بعد التقليب والرضى كما يجب عرف قدره شهد به عليهم وهما بحال كماله بصحة وطوع وجواز وفي تاريخ شهر الله رجب الفرد سنة ثلاثة وستين ومائة والألف (1163/1750)

عبيد ربه تعالى (عمر بن بزيان) البيلولي وفقه الله

عبيد ربه تعالى بطهر بن بزيان البيلولي وفقه الله

BIBLIOGRAPHIE

NABIL L. 1985 : *Le haut Sif ou Lout (Moyen Atlas Oriental) : une montagne méditerranéenne en crise* ; Etude géosystémique. T. 1 : Texte ; T. 2 ; atlas photographique ; une carte H. T. au 1/20 000. Thèse de 3ème cycle, Toulouse-Le-Mirail, Toulouse.

NABIL L. 1990 : *La toponymie berbère, quels intérêts géographiques ? Cas du Bassin Versant de Sif-ou-Lout* : Glossaire. Revue de la Faculté des Lettres Tétouan N : 1.

NABIL L. (2007) : *Le haut Moyen Atlas, une montagne méditerranéenne en crise, cas de la tribu des Beni Bou-Illoul (versant N de J. Bounacer),* communication au colloque International sur le thème « Dynamiques territoriales : des potentialités au développement durable » de clôture des actions intégrées du comité mixte inter-universitaire Maroco-Français (AI-MA 03/86 ; 03/88) organisé entre l'Université Paul Verlaine - Metz, l'Université Sidi Mohamed Ben Abdellah Fès, les 19-21/4/2007 (sous presse).

الحياني محمد 1986 تطور نظام التوثيق؛ أيام دراسية حول التوثيق وآثاره على التنمية العقارية الجديدة 12 إلى 14 دجنبر 1986 ص 12-7.

الطاهر المصمودي 1986 كلمة افتتاح الأيام الدراسية حول التوثيق وآثاره على التنمية العقارية الجديدة 12 إلى 14 دجنبر 1986.

مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية وجمعية المحافظين والمراقبين على الملكية العقارية 1986 أيام دراسية حول التوثيق وآثاره على التنمية العقارية الجديدة، أيام 12 إلى 14 دجنبر 1986.

الفهرس